يا اهل اندلس حثوا مطيكمُ ... فما المقام بها الاّ من الغلطِ
الثوب ينسل من اطرافهِ وارى ... ثوب الجزيرة منسولاً من الوسطِ
ونحن بين عدوٍّ لا يفارقنا ... كيف الحياة مع الحيّات في سفطِ

استردها الفنسو السادس القشطلي (ويسميه كتاب العرب اذفونش) بعد ان حاصرها سبع سنين ولبثت قصبة لملوك اسبانيا حتى سنة ١٥٦٠ للميلاد حينما نقل الملك فيلبس الثاني تخت الملك الى مدريد. وبُني فيها في خلال ذلك كنيسة كبيرة من الحجر كنائس اسبانيا طولها ٤٠٤ اقدام وعرضها ٢٠٤ اقدام وعلوها ٢٣٤ قدمًا. وقصر فسيح كان يسكنه الملوك ويسمونه القصر وهو المرسوم في الصورة المدرجة في هذه المقالة. وكان فيها مئتا الف من السكان ولكن لما صارت مدريد دار الملك قلّ سكانها كثيرًا فلم يبقَ بها الآن الاّ اربعة عشر الفًا وتداعت اكثر ابنيتها وصارت عظمتها السابقة اثرًا بعد عين وقد اشتهرت ايام كان العرب فيها بسيوفها التي بارت بها السيوف الدمشقية وكان يُظَن ان الماء نهر باجة مزية في اجادتها لان اهل اشبيلية حاولوا عملها في مدينتهم فلم يتهيأ لهم ذلك. ولبثت السيوف الطليطلية مشهورة حتى ذاع استعمال البارود فلم تعد لها القيمة التي كانت لها قبل

كتب اللغة او القواميس

المراد بكتب اللغة الكتب التي تبين معاني مفردات اللغة مثل صحاح الجوهري واساس البلاغة للزمخشري وقاموس الفيروزابادي وقد اطلق عليها المتاخّرون اسم القاموس لكثرة ما شاع بينهم من نعتهِ حتى كانهم لم يعرفوا غيرهُ وسخّروهم في هذه التسمية في ما يلي

لغات البشر كثيرة جدًّا تفوق الالفين وفيها من الكتب ما يُعَدُّ بمئات الالوف ولكن قواميسها قليلة لا تزيد على خمسة آلاف كثيرًا ونصفها باللغات الاوربية واوسعها بالصينية واليابانية والعربية واليونانية واللاتينية والفرنسوية والانكليزية. ففي الصينية قاموس شوو وان أُلِّف قبل التاريخ المسيحي بمئة وخمسين سنة وهو في اثني عشر مجلدًا. وبغ تسولوي بين سي في مئة وثلاثين مجلدًا. وفي وان بن فو في مئة وواحد وثلاثين مجلدًا اشتغل في تأليفهِ ستة وستون عالمًا من كادمية هان لين مدة سبع سنوات. وقد قدّر بعضهم انهُ لو ترجم هذا القاموس الى الانكليزية لملأ مئة واربعين مجلدًا في كلٍّ منها الف صفحة. وقاموس كنغي تسي تين في اربعين مجلدًا انفقَ ثلاثون عالمًا من مجمع هان لين وكتب مقدمتهُ الملك الاول من السلالة المالكة وهو المعوّل عليهِ الآن عند علماء الصين وفي اليابانية قاموس ميكن ذي كو في عشرة مجلدات أُلِّف عام ١٦٠٨ للميلاد. وكنغي تسي تين

بالصينية واليابانية في ثلاثين مجلدًا وجيدوها بالدنبركية واليابانية في عشرين مجلدًا

وفي العربية قواميس كثيرة ذكرنا بعضها في الجدول التالي . وذكر الزبيدي في مقدمة تاج العروس انهُ كان عندهُ الصحاح في ثمانية مجلدات والتهذيب في ١٦ مجلدًا والمحكم في ثمانية مجلدات ولسان العرب في ثمانية وعشرين مجلدًا وتهذيب التهذيب في خمسة مجلدات وهي مسودة المؤلف والجمهرة في اربعة مجلدات . وذكر لين صاحب القاموس العربي الانكليزي انهُ كان عندهُ تاج العروس في اربعة وعشرين مجلدًا . وقال الفيروزابادي في مقدمة القاموس انهُ اخذ في تأليف اللامع المعلم العجاب الجامع بين المحكم والعباب نوجد انهُ يشغل ستين سفرًا وكلٌّ منها قدر نصف القاموس فعدل عنهُ والّف القاموس

ولم ينفك علماء العربية عن تأليف القواميس فيها منذ القرن الثاني للهجرة حتى الآن كما يظهر من هذا الجدول

فان الخليل	مؤلف العين		توفي عام ١٧٠ للهجرة
والازهري	" التهذيب	ولد عام ٢٠٢	وتوفي عام ٣٧٠ "
وابن دريد	" الجمهرة		" ٣٢١ " "
والصاحب ابن عبّاد	" المحيط	ولد عام ٣٢٦	" ٣٩٥ " "
والجوهري	" الصحاح		" ٣٩٨ " "
والقزاز	" الجامع		" ٤١٢ " "
وابن التياني	" الموعب		" ٤٣٦ " "
وابن سيده	" المحكم		" ٤٥٨ " "
والزمخشري	" اساس البلاغة	ولد عام ٤٦٧	" ٥٣٨ " "
والمطرزي	" المغرب	" " ٥٣٦	" ٦١٠ " "
والصغاني	" الموعب	" " ٥٧٧	" ٦٦٠ " "
وابن منظور	" لسان العرب	" " ٦٣٠	" ٧١١ " "
والتنوخي	" تهذيب التهذيب		" ٧٢٣ " "
والفيومي	" المصباح انتهى من تاليفهِ		" ٧٣٤ "
وابن هشام	" المغني	ولد عام ٧٠٨	" ٧٩١ " "
والفيروزابادي	" القاموس	" " ٧٢٩	" ٨١٦ " "
والزبيدي	" تاج العروس انتهى من تاليفهِ		" ١٢٠٥ "

وفي اليونانية قواميس كثيرة يمتد تاريخها من عصر الاسكندر الى اواسط القرن السادس عشر. وفي اللاتينية قواميس كثيرة ايضاً يمتد تاريخها من اواخر القرن الثالث عشر الميلاد الى اواسط هذا القرن

اما القواميس الفرنسوية فاقدمها قاموس رانكون طُبع سنة ١٦٠٦ واوسعها واشهرها قاموس ليتره وهو في اربعة مجلدات كبار تحتوي ٧١١٨ صفحة بقطع كبير وحرف دقيق. وكانت الاكادمية الفرنسوية قد شرعت في تاليف قاموس جامع للغة الفرنسوية منذ نحو قرنين ولم يخرج عملها حتى الآن اما ليتره فانّب وحدهُ في ثلاث عشرة سنة ما عجزت عنهُ الاكادمية في مئتي سنة وانتهى من طبعهِ سنة ١٨٧٣ فجاء اوسع قاموس بين القواميس الاوربية وشهد له الجميع بالنقل والسعة. وكان ليتره يقوم الساعة الثامنة صباحاً (حسابًا افرنجيًا) ويخرج من مكتبتهِ حيث كان ينام ويشتغل في تاليف المقدمة ريثما تكنس وتُرتّب كتبها فيعود اليها الساعة التاسعة ويلبث فيها يصلح المسودات الى وقت الغداء. ثم يؤلف مقالة لجرنال العلماء من الساعة الاولى بعد الظهر الى الثالثة ويشتغل في تاليف القاموس من الثالثة الى السادسة وفي السادسة يتعشى وينوم عن العشاء الى مكتبتهِ نوّامًا ويعاود التأليف في القاموس الى الساعة الثالثة بعد نصف الليل او الى الصباح ولم يساعدهُ احد في تاليفهِ سوى امرأتهِ وابنتهِ فانهما كانتا تنسخان لهُ

واما القواميس الانكليزية فكثيرة جامعة كقاموس جنصن الانكليزي ووبستر الاميركي ولكنها كلها دون قاموس ليتره المتقدم ذكرهُ. وقد عزمت الجمعية اللغوية الانكليزية سنة ١٨٥٧ على انشاء قاموس جامع للغة الانكليزية ودعت جمهور الانكليز من كل الاقطار لكي يساعدوها في تمحيص الكلمات وايجاد الشواهد من الكتب المختلفة فلبى طلبها كثيرون وقرأوا الوفًا من الكتب وارسلوا لها ما لا يحصى من الشواهد حتى انهُ بلغ ثقل اوراق الاقتباسات التي سلمتها للمحرر الاخير نحو الف وستمائة اقة. ويقدرون انهُ اذا ادرجت في هذا القاموس الشواهد كما في ملأ اثني عشر مجلدًا في كلٍّ منها الف صفحة ولكن اذا ادرجت فيهِ مختصرة كان قدر قاموس ليتره مرةً ونصف مرة. والمظنون انهُ يكمل بعد تسع سنوات ويكون جامعًا لكل كلمة انكليزية ومبينًا لكل معانيها

فيظهر مما تقدم ان الاوربيين مع كل تقدمهم لم تبلغ لغاتهم في اتساعها لغة الصين ولا اللغة العربية ولم يعنَ لغويوهم الى الآن بلغاتهم كما عني لغويو هاتين اللغتين بهما. ولكنّا لا ننكر ان اللغات الاوربية تمتاز على العربية والصينية وغيرهما من اللغات الشرقية بكثرة قواميسها وتنوعها ورخص ثمنها حتى انهُ لا يعسر على كل طالب ان يبتاع قاموسًا في كلٍّ منها ببضعة غروش وهذا مطلب يعزّ على طلاّب العربية ويعسر وصولهم اليها وقد نبهنا اليهِ الافكار قبل الآن